مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:25 عدد: 61 السنة: 2021

ملامح الإعجاز البلاغيّ في ضوء تعدّد القراءات القرآنيّة المتواترة في سورة الفاتحة

Features of the Rhetorical inimitability in the spot light of the Variant Readings of the Quran in Surah El Fatiha

وردة عبدالله[1]
كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1 الحاج لخضر– الجزائر
amalwarda1987@gmail.com
أ.د نورة بن حسن
كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1 الحاج
لخضر– الجزائر
nourabenhacene@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2020/11/03 القبول 2021/08/30 النشر على الخط 2021/11/30
Received 03/11/2020 Accepted 30/08/2021 Published online 30/11/2021

ملخص:

يعالج هذا البحث إشكاليّة دلالة تعدد القراءات القرآنية في إعجاز القرآن الكريم بلاغياً، وتهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن أهمّ ملامح الإعجاز البلاغي في القراءات القرآنية المتواترة في سورة الفاتحة، من خلال تحليل القراءات المتواترة الواردة في السّورة وإبراز دلالتها نحوياً وبلاغياً وكذا استكشاف المعاني المستفادة في ضوء اختلافها وتعددها.

وقد تبين من خلال الدّراسة أن ملامح الإعجاز البلاغي للقراءات المتواترة بسورة الفاتحة اتّضحت بشكل كبير في ضوء الاختلافات الواقعة في الفرش و الأصول معاً بالسورة وكان أكثرها يتعلق بالأصول لتغاير القراءات أكثر بالأصول وتجلت هذه الملامح في فصاحة الكلمات وتعددها بلهجات العرب وكذا سعة المعاني التي تدلّ عليها القراءات القرآنية المتواترة.

الكلمات المفتاحية: القرآن؛ الإعجاز؛ البلاغة؛ القراءات القرآنية المتواترة؛ سورة الفاتحة.

Abstract:

This research deals with the significance of the variant readings of the Quran in rhetorical inimitability of the Holy Quran. It aims to reveal the most important features of the rhetorical inimitability in the variant readings of the Quran in surah El Fatiha through analyzing them and showing their grammatical and rhetorical meanings andalso deducing the meanings related to their diversities.

This study shows that the features of rhetorical inimitability of the variant readings of the Quran in surah El Fatiha are highly noticed in the differences between Al-Farsh and Al-Usul in the surah, and that most of them are concerned with Al-Usul. These features are reflected through word eloquence and its diversity in the arab dialects and also the wide range of meanings that are carried by the variant readings of the Quran.

Keywords: Quran; inimitability; rhetoric; variant readings of the Quran; surah El Fatiha.

[1] -المؤلّف المرسل: وردة عبد الله البريد الإلكتروني: amalwarda1987@gmail.com

1. مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن بلسان عربي مبين وبعد.

يُعدّ القرآن الكريم رسالة الله الخالدة ومعجزته الدائمة، إذ كان ولا يزال بحراً زاخراً ينهل منه العلماء والدارسون منذ عهد الرسالة حتى يومنا هذا، والمتتبع لآيات القرآن الكريم سيرى ذلك النّظام المحكم البديع الذي تعجز عن مشابهته ألسنة البلغاء وتلين به القلوب، ولعلّ من أهم ما يبرز جمال القرآن وإعجازه تعدّد القراءات القرآنية المتواترة، ويتبعها تعدّد معاني الآيات، والتي تعكس حكمة القائل وقدرته، والمتأمل في القراءات المتواترة وفي مواطن اختلافها يجد أنّ أكثر هذه الاختلافات ترجع إلى اللّغة العربيّة ومختلف العلوم المرتبطة بها، هذه الاختلافات تمثل إعجازا بلاغيا يختصر الكثير من المعاني ويظهر إعجاز القرآن وعظمته في الآية الواحدة بله الكلمة الواحدة وحتّى الحرف الواحد من حروف القرآن الكريم.

ولما كانت عجائب القرآن لا تنقضي، وكان أهم ما تحدّى به العرب هو الإتيان بمثله لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]، وأضحت موافقة اللغة العربية شرطاً لقبول القراءة الصحيحة، فإنّ من الجدير البحث عن أهم ملامح الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، وفي ضوء تعدد القراءات القرآنية المتواترة ودلالة هذه الاختلافات، والتي تعطي لبنات جديدة للوقوف على معاني القرآن وهداياته من خلال نموذج تطبيقي على سورة الفاتحة.

من هنا انبثق إشكال البحث عن مدى تجلي ملامح الإعجاز البلاغي في القراءات القرآنية المتواترة بسورة الفاتحة؟

والإجابة عن ذلك اقتضت بحث الموضوع تحت عنوان: **"ملامح الإعجاز البلاغي في ضوء تعدد القراءات القرآنية المتواترة في سورة الفاتحة"**، والذي تعود أسباب اختياره إلى كون سورة الفاتحة أم القرآن من جهة، وتكرار المسلم لتلاوتها في كل الصلوات من جهة ثانية، فضلا عمّا ورد في فضلها من أحاديث وآثار عدّة.

ويسعى البحث إلى تحقيق عدة أهداف أبرزها ما يلي:

- بيان فوائد وأهمية الاختلاف في القراءات القرآنية المتواترة.
- إبراز ملامح الإعجاز البلاغي في القراءات القرآنية المتواترة في سورة الفاتحة.
- إظهار مدى أثر الإعجاز البلاغي في القراءات القرآنية المتواترة في توضيح المعنى بسورة الفاتحة.

وأظهر البحث عن الجهود المتقدمة في الموضوع إلى أنّ من بين الدراسات السابقة التي تقاطعت مع هذا البحث في جانب من الجوانب ما يلي:

1. دراسة بعنوان: "الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة"، دراسة بيانية اشتملت على(81) آية من الذكر الحكيم، للباحث أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ.

2. دراسة بعنوان: "الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة"، للباحث حمزة بن علال، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل. م. د)، تخصص التفسير وعلوم القرآن، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 1438هـ – 2017م.

فرغم تقاطع هذه الدراسات مع موضوع هذا البحث إلاّ أنّها لم تستوعب جميع المواضع في القرآن الكريم، فضلا عن قلة البحث في دلالة الجوانب الصوتية في الإعجاز البلاغي في ضوء تعدد القراءات، كما أوصت في الأخير بضرورة توالي الجهود لاستكمال بحث جوانب الإعجاز في القراءات.

وبما أنّ هذه الدراسة عبارة عن سرد وصفي لاختلاف القراءات القرآنية المتواترة وجوانب الإعجاز في سورة الفاتحة، وتحليل لتلك القراءات المتواترة من خلال إبراز ملامح الإعجاز فيها، ثم بيان مدى أهميته في توضيح معاني القرآن الكريم، لذلك ناسب الاستعانة بالمنهج الوصفي مع توظيف آلية التحليل والاستنباط وفق الخطّة الآتية:

1.مقدمة

2. الإطار النظري للبحث

1.2 تعريف القراءات القرآنية المتواترة وضوابطها

2.2 تعريف الإعجاز البلاغيّ

3. القراءات القرآنيّة المتواترة في سورة الفاتحة وملامح الإعجاز البلاغي فيها

1.3 صور الاختلاف بين القراءات المتواترة وعرض المتواتر منها بسورة الفاتحة

2.3 ملامح الإعجاز البلاغي لتغاير القراءات القرآنيّة المتواترة في سورة الفاتحة

4.خاتمة (تتناول أهم النتائج والتوصيات)

وبناءً على هذا التّقسيم سنشرع في بسط الموضوع، والله الموفّق للصّواب.

2. الإطار النظري للبحث

قبل الحديث عن الإعجاز البلاغي وعلاقته بالقراءات المتواترة، نعطي لمحة عن تعريف القراءة المتواترة وضوابطها، وبعدها نبيّن القراءات المتواترة التي وافقت الضّوابط المتعارف عليها لدى علماء القراءات، ثمّ نقدّم بعدها تعريفاً للإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

1.2 تعريف القراءات القرآنية المتواترة وضوابطها

نتناول تحديد معنى القراءات القرآنية والتواتر وذلك من خلال الفروع الآتية:

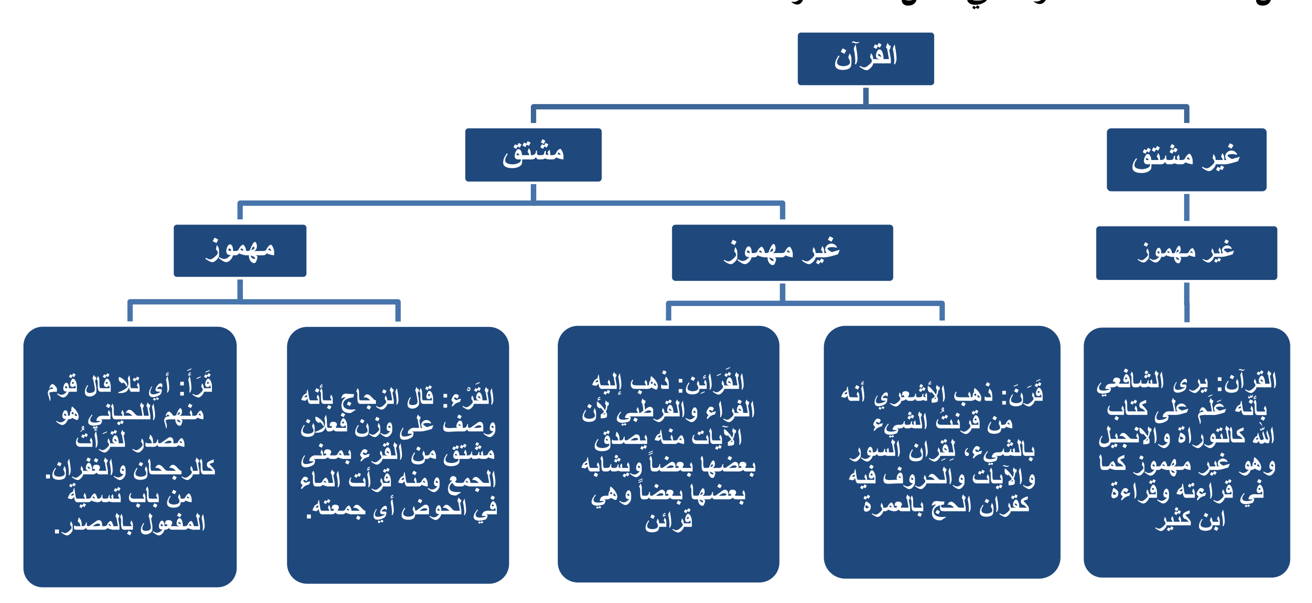
1.1.2 تعريف القرآن

لغة: "القُرّاء: يكون من القراءة جمع قارئ.. وقال "أبو إسحاق": الذي عندي في حقيقة هذا أن القرء في اللغة الجمع، وأن قولهم قريت الماء في الحوض..، فهو جمعت، وقرأت القرآن: لفظت به مجموعاً"[1].

وبالإجمال اختلف العلماء في لفظ القرآن هل هو مشتقّ أم غير مشتق على النّحو الآتي[1]:

[1]– محمد بن مكرم، ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر– بيروت ط3، 1414هـ، ج1، ص 131.

الشكل01: اختلاف الأقوال في أصل لفظ القرآن



يتّضح من خلال هذه المعاني أنّ معنى قرأ يدور حول الجمع، والقراءة فيها جمعُ حروف وكلمات لتكون ألفاظاً وآياتٍ، ومنه يكون معنى قرأت القرآن لفظته مجموعاً، والقرآن بمعنى الجمع كما القراءة.

ولعلّه يكون مشتقاً من قرأ ثمّ بعد ذلك صار علماً للقرآن المنزّل على النبي "محمّد صلّى الله عليه وسلّم"، إذْ ليس كلُّ ما يُقرأ يُسمّى قرآناً، وعليه فهو مهموزٌ، وإذا حُذِف همزه فإنما ذلك للتّخفيف، وتدخله ال بعد التّسميّة للمح الأصل لا للتّعريف[2].

أما في الاصطلاح: فيعرّف القرآن الكريم بأنه: "كلام الله تعالى المعجز المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيّدنا "محمّد صلّى الله عليه وسلم" بواسطة أمين الوحي "جبريل" "عليه السّلام"، المنقول إلينا بالتّواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة النّاس، والمُتحَدّى بأقصر سورة منه"[3].

وكلام الله تعالى معجز لفظا ومعنىً، فإعجازه لفظاً كونه تحدّى العرب في أن يعارضوه فما استطاعوا بالرغم من كونهم أرباب الفصاحة والبلاغة، وإعجازه معنىً كون معانيه وحِكمه يدركها العقلاء من غير الأمّة العربية في كلّ زمان ويستحيل للعقل البشري أن يأتي بالمعاني الجليلة التي أُودعت فيه[4].

فرغم أن التّعريف السّابق أشار إلى كونه معجزاً إلاّ أنّه لم يُشر إلى جزئيّة كونه معجزاً لفظاً ومعنىً، وعليه يكون التّعريف الشّامل بعد إضافة هذه الجزئيّة:

---

[1]– يُنظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ - 1957م، ج1، ص278./السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: مصطفى شيخ مصطفى، خرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون- بيروت لبنان، ط1، 1429هـ-2008م، ص116.

[2]– الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، المحقّق: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1415هـ-1995م، ص16-17.

[3]– محمد أحمد محمد معبد، نفحات من علوم القرآن، دار السلام – القاهرة، ط2، 1426 هـ - 2005 م، ص11.

[4]– يُنظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، ج1، ص105.

القرآن الكريم هو كلام الله المعجز لفظاً ومعنىً، المنزّل على نبيّنا محمّد "صلّى الله عليه وسلم"، بواسطة أمين الوحي جبريل "عليه السّلام"، المتعبّد بتلاوته لفظاً ومعنىً، المنقول إلينا بالتّواتر، المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة النّاس، والمتحدّى بأقصر سورة منه.

2.1.2 تعريف التواتر

لغة: "التَّواتُرُ: تتابع الشيء وتراً وفرادى، وجاءوا تَتْرَى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [هود: 44]"[1]، ويُقال: تواترت كتبه وواترها وتواتر القط أو الإبل، وجئن متوترات و تترى: أي متتابعاتٍ وتراً بعد وترٍ[2].

أمّا اصطلاحاً: يعرف التواتر بأنّه: "نقل جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب، من أول السند إلى منتهاه، من غير تعيين في العدد".[3]

وبذلك يكون التواتر لقراءات القرآن بمعنى تتابع المسلمون في نقل القرآن الكريم حسب القراءات المروية جيلا بعد جيل على مرّ العصور.

3.1.2 تعريف القراءات القرآنية كمركب

من أهم التّعاريف التي شملت معنى القراءات: "القراءات علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة".[7]

– فقوله علم بكيفية أداء الكلمات القرآنية: يقصد به ما يتعلق بها من الإظهار والإدغام والإمالة والجر والنصب وغيره.

– وقوله واختلافها: يعني تمييز الرّواية التي رواها كل قارئ عن غيره، وقد تختلف أو تتفق، وقد يكون هذا الاختلاف فيما يتعلق بالإظهار والإدغام، وقد يكون فيما يتعلق بفرش الحروف أو الإعراب.

– وقوله بعزو الناقلة: أي نسبة كلّ كلمة وطريقة أدائها تكون إلى الرّاوي الذي رويت عنه.

4.1.2 ضوابط القراءة المتواترة

"كل قراءة وافقت العربيّة مطلقا، ووافقت أحد المصاحف العثمانيّة ولو تقديرا وتواتر نقلها، هذه القراءة المتواترة المقطوع بها"[4].

ويستنبط أنّ شروط القراءة المتواترة هي:

1–موافقة اللغة العربية ولو بوجه: يقصد به وجهاً من وجوه النّحو، سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة ممّا شاع وذاع وتلقّاه الأئمّة بالإسناد الصّحيح من أمثلة ما أنكره بعض النّحاة قراءة "حمزة" بالخفض في:﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ وقراءة "أبي عمرو" بالإسكان في ﴿بَارِئِكُم﴾.[5]

---

[1]– أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة الأولى – 1412 هـ، ص853.

[2]– يُنظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ – 1998 م، ص318.

[3]– أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الامدادية، ط1، 1415 هـ، ص 58.

[4]– شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1420هـ–1999م، ص18.

[5]– ينظر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص 10/ شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مرجع سابق، ج1، ص18.

يعني أنّ قراءة "الإمام حمزة" "رحمه اللّه" في سورة النساء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] لكلمة "والأرحام" بالكسر معطوفة على "به"، وقراءة الإمام "أبي عمرو" "رحمه اللّه" الهمزة ساكنة في كلمة "بارئْكم"، فالقراءتان صحيحتان ولهما وجه في العربية.

2-موافقة رسم المصحف العثماني ولو احتمالاً: يقصد به موافقة أحد المصاحف التي كتبت في عهد "عثمان" "رضي الله عنه" كالقراءة بالهاء في قوله تعالى:﴿تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾، فإنّها كتبت بالهاء في أحد المصاحف العثمانية، وقوله ولو احتمالا نحو قراءة ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بالفاتحة رسمت بحذف الألف لتحتمل قراءة الحذف، وكذا قراءة ﴿تَتْرا﴾ بالمؤمنين لتوافق قراءة التنوين، ونحو قراءة ﴿الصِّرَاط﴾ بالسين، أو الصاد، أو الصاد مع إشمامها زاياً.[1]

أي أنّ كلمة "ملِك" رسمت بحذف الألف لأنّ فيها قراءتان ملك ومالك، وكذا "تترا" تُرسم في الرسم القياسي "تترى"، لكن رُسمت بالمصحف العثماني "تترا" لتوافق قراءة "تتراً" بالتنوين، وكلمة "الصّراط" أصلها بالسين لكن رُسمت بالصاد لتحتمل القراءة بالصاد والأصل معلوم في اللغة العربية.

3-تواتر النقل: يقصد به "ما رواه جماعة كذا إلى منتهاه يفيد العلم من غير تعيين عدد"[2].

وقد اعتنى المسلمون منذ عصر النبوة بكتاب الله تعالى وبذلوا النفس والنفيس في سبيل حفظ كلام رب العالمين على الوجه الذي نزل به انطلاقا من جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم حتى من جاء بعدهم.

-والّذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمّة العشرة التي أجمع النّاس على تلقيها بالقبول: أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف.[3]

2.2. تعريف الإعجاز البلاغي

القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية جمعاء، ولفظه معجز ومتميّز عن كلام البشر، فلا يمكن أن يصدر القرآن إلا منه سبحانه وتعالى، فقد تحدّى القرآن البشرية جمعاء وأعجزهم عن الإتيان بمثله.

1.2.2 تعريف الإعجاز

لغة يقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، ولن يعجز الله شيء، أي لا يعجز الله تعالى عنه متى شاء،[4] فالعجز معناه اللّغوي يدل على عدم القدرة على إدراك الشيء والوصول إليه.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ [الجن: 12]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [العنكبوت: 22].

---

[1]- ينظر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مرجع سابق، ص 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

[3]- المرجع نفسه، ص 18.

[4]- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج4، ص232.

اصطلاحاً : يرى "الرافعي" أنّ الإعجاز يطلق على أمرين ، يقول:

"الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثمّ استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن و تقدمه".[1]

فهو يقصد بذلك الضعف عن إدراك المطلوب، وكذا استمرار هذا الضعف مع تقدم الزمن.

وإعجاز القرآن: "مركّب إضافي معناه بحسب أصل اللغة إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به".[2]

ويستشف مما سبق أنّ إعجاز القرآن يتمثل في ضعف وعدم قدرة الخلق على إدراك المطلوب وهو الإتيان بمثل القرآن الكريم، واستمرار هذا الضّعف بتقدّم الزّمان.

2.2.2 تعريف البلاغة

لغة: يقال "بلغ الرجل بلاغة فهو بليغ، وهذا قول بليغ"[3]، بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، والبلاغة الفصاحة[4].

فالبلاغة في الاستعمال اللغوي، تدل على الانتهاء والوصول.

اصطلاحا: اختلفت عند المتقدمين والمتأخرين كل حسب نظريته وما ذهب إليه، بيد أن أهم التعريفات التي استقرّ عليها العلماء البلاغة هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة الكلام.[5]

والبلاغة تقُال على وجهين:

– **أحدهما:** "أن يكون بذاته بليغاً، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف: صوبا في موضوع لغته، وطبقاً للمعنى المقصود به، وصدقاً في نفسه، ومتى اختُرم وصف من ذلك كان ناقصاً في البلاغة".[6]

– **والثاني:** "أن يكون بليغاً باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمراً فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: 63]، يصح حمله على المعنيين "[7]، أي المعنيان المشار إليهما من حيث كونه بليغاً بحدّ ذاته، وبليغاً باعتبار القائل والمقول له.

وعليه ففصاحة الكلام تقتضي أن يكون بليغاً في ذاته، ومطابقته لمقتضى الحال يعني أن يكون بليغاً باعتبار القائل والمقول له.

---

[1]– مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي بيروت، ط8، 1425هـ-2005 م، ص 98.

[2]– محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 259.

[3]– أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1419هـ-1998 م، ج1، ص 75.

[4]– محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، مرجع سابق ج 8، ص 419.

[5]– ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، 1423 هـ، ج1، ص 10./ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت، ص 42.

[6]– أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص 145.

[7]– المرجع نفسه، ص145.

3.2.2 تعريف "الإعجاز البلاغي" كمركب

يُعرف بأنّه: "عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن الكريم، وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر ملكتهم البيانية، وقيام الداعي على ذلك وهو استمرار تحدّيهم وتقرير عجزهم عن ذلك"[1]

والمعلوم أنّه يقصد بذلك الإعجاز البيانيّ والبلاغيّ للقرآن الكريم، فهو الأظهر وهو الذي وقع التحدي به بوضوح، ولعلّ اختلاف القراءات القرآنية المتواترة لفظاً ومعنىً من دلائل إعجاز القرآن الكريم، وهو ما سنحاول الكشف عنه وإبرازه من خلال ما يلي.

3. القراءات القرآنيّة المتواترة في سورة الفاتحة وملامح الإعجاز البلاغي فيها

يتولّى هذا العنصر إبراز جميع القراءات القرآنيّة المتواترة في سورة الفاتحة، ثمّ تثنيّته بتحديد مظاهر وإرهاصات الإعجاز البلاغيّ التي تنطوي عليها تلك القراءات المتواترة الواردة بالسّورة.

1.3. صور الاختلاف بين القراءات القرآنيّة وعرض المتواتر منها بسورة الفاتحة

يحسُن قبل عرض القراءات في سورة الفاتحة الحديث عن كل صور الاختلاف الحاصلة في القراءات القرآنية المتواترة.

1.1.3 صور الاختلاف بين القراءات المتواترة

جمع "ابن الجزري" "رحمه اللّه" صور الاختلاف بين القراءات في كلامه عن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وذكر أنّ اختلاف القراءات لا يخرج عما يلي:

1-حركات بلا تغيير في المعنى والصورة: نحو: ﴿الْبُخْلِ﴾ بأربعة أوجه البُخْل والبَخَل وبهما قُرِئ والبُخُل والبَخْل، ﴿وَيَحْسَبُ﴾ بوجهين أي بكسر السين وفتحها[2].

2-تغير في المعنى فقط: نحو: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ، وآدَمَ مِن رَبِّه كَلِمَاتٌ﴾ بسورة البقرة، ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، و﴿أَمَهٍ﴾ بسورة يوسف [3].

3-تغير في الحروف بتغير المعنى لا الصورة: نحو:﴿تَبْلُوا وَتَتْلُوا﴾ بسورة يونس وقراءة تتلوا أي تقرأ كقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾، و﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ وننحيك ببدنك.[4]

4-تغير في الحروف بتغير الصورة لا المعنى: نحو: ﴿بَصْطَةً وَبَسْطَةً﴾، و﴿الصِّرَاطَ والسِّرَاطَ﴾.[5]

5-تغير بتغيرهما معاً: ك:﴿أَشَدَّ مِنْكُمْ، وَمِنْهُمْ﴾ قُرِئت بالكاف والهاء بسورة المؤمن، و﴿يَأْتَلِ وَيَتَأَلَّ﴾ بالنّور، و﴿فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وبقراءة فَاسْعَوا بسورة الجمعة.[6]

---

[1]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار الأردن، دط، 1421هـ-2000م، ص17.

[2]- ينظر: ابن منظور الأنصاري، مرجع سابق، ج 11، ص46/ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج1، ص26.

[3]- ينظر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج1، ص 26.

[4]- يُنظر : المرجع نفسه، ص26./ عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ط5، 1418هـ-1997م، ص331.

[5]- يُنظر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج1، ص 26.

[6]- يُنظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط2، 1400هـ.

6-تغير في التقديم والتأخير: نحو:﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ أي القراءة الأخرى بـ: ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾ ببراءة، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَتُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ﴾ بعكس الموت بالحق[1].

7-تغير في الزيادة والنقصان: نحو:﴿وَأَوْصَى، وَوَصَّى﴾بالبقرة، و﴿الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ بالليل.[2]

الملاحظ أنّ الاختلافات التي أوردها "ابن الجزري" ليس فيها ما يتعلق بالأصول، فهي ليست من الأحرف السبعة، كلّها اختلافات تتعلق بالفرش، والاختلافات مجملاً في القراءات القرآنيّة، منها ما يتعلق بالأصول، ومنها ما يتعلق بالفرش، ولقد احتُجّ لكلٍّ منهما نحويّاً وبلاغيّاً، وإذا أردنا أن نتحدّث عن بلاغة وفصاحة القرآن الكريم فإنّ ما يتعلّق باختلاف الأصول من صميم فصاحة اللّفظ وبلاغة آيات القرآن، والاحتجاجات التي أوردها العلماء قديما ولازال يُجتهد فيها اليوم أيضاً خاصةً النحوية والبلاغية، هي بوابة إبراز بلاغة وإعجاز القرآن الكريم، إضافةً إلى ما أورده المفسّرون والبلاغيّون لإثبات إعجاز القرآن.

2.1.3 عرض القراءات القرآنية المتواترة في سورة الفاتحة

نعرض مختلف القراءات المتواترة، والقراء الذين رُويت عنهم وصور الاختلاف بينها في الآتي[3]:

الجدول رقم (01): جدول القراءات المتواترة في سورة الفاتحة

الآية	القراءات الواردة		القراء	الاختلاف
بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(1)	لا يوجد اختلاف		كلهم	
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)	1.العالمين بالمد 3 أوجه وقفاً		كلهم	أحكام وأصول
	2.العالمينه بهاء السكت وقفاً		يعقوب بخُلف عنه	
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ	1.بالإدغام		أبو عمرو-يعقوب	أحكام وأصول
	2.بالإظهار		الباقون	
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)	1.مَالِكِ بالألف		عاصم-الكسائي يعقوب-خلف	الحذف والزيادة
	2.مَلِكِ بغير ألف		الباقون	
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)	لا يوجد اختلاف		كلهم	
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)صِرَاطَ..	1.السِّراط		قنبل ورويس	تغير الحروف
	2.الصِّراط بالصاد مع إشمامها زاياً		خلف عن حمزة	
	3.الصِّراط		الباقون	
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)	1. عليهُمْ		حمزة-يعقوب	أحكام وأصول
	2.عليهم	أ.عليهِمُو	قالون بخلف- أبو جعفر -ابن كثير	أحكام وأصول
		ب.عليهِمْ	قالون بخُلف- الباقون	

---

[1]- يُنظر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج1، ص 26.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص26.

[3]- يُنظر: أحمد عيسى المعصراوي، مصحف التجويد وبهامشه كتاب القراءات العشر، دار المعرفة – دمشق، دط، 1430هـ-2009م، ص 1/ شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج1، ص 273.

-يتضح من خلال الجدول أنّ أهم الاختلافات بين القراءات العشر المتواترة في سورة الفاتحة، قد تكون اختلافات في الأصول أو الفرش.

1-الأصول: وهي أكثر الاختلافات في القراءات العشر الواردة بسورة الفاتحة (العالمين-الرحيم ملك-عليهم الهاء والميم).

2-الفرش: وهي قليلة فلم تقع سوى في كلمتي (ملك-الصراط) ويتعلق اختلافهما بـ: الزيادة والحذف- تغير في الحروف بتغيير الصّورة لا المعنى.

2.3. ملامح الإعجاز البلاغي لتغاير القراءات القرآنية المتواترة في سورة الفاتحة

تتغاير القراءات القرآنية في سورة الفاتحة في عدة مواضع، وينطوي ذلك على إعجاز بلاغي، نحاول الكشف عن بعض ملامحه من خلال الفروع الآتية:

1.2.3. ملامح الإعجاز البلاغي للاختلاف في قراءة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)﴾

1- القراءة وقفاً بالسكون: قرأ الجمهور بالسكون وقفاً، فقراءة الجمهور بالوقف على النون تتناسق وفقها فواصل آيات الحمد.

2-القراءة وقفاً بالهاء: بينما قرأ "الإمام يعقوب" "رحمه الله" ﴿الْعَالَمِينَ﴾ بإلحاق هاء السكت وقفاً إظهاراً لفتحة النون منها.[1]

وفائدة إظهار فتحة النّون ليُفرَّق بينها وبين نون الاثنين، ويتأتّى ذلك بالقراءة بهاء السكت إذْ تُبيِّن حركة الحروف التي لم يذهب بعدها شيء كالنونات التي ليست بحروف إعراب بل هي للاثنين أو الجمع، فيُحتاج إلى الهاء في الوقف لأنّه لا يمكن تحريك ما يُسكت عنده وقفاً[2]، وهو -الوقف بالهاء- أجدر إذا كانت الحركة فتحة إذْ لا يستطيع حينها الوقف لا بالروم ولا بالإشمام لتبيين الحركة كما في كلمة العالمين.

وقراءة "الإمام يعقوب" "رحمه الله" بهاء السّكت تدل كذلك على أنّه في كلام الله ليس الغرض من الفواصل أن تكون متناسقة وحسب، وإلا لما وردت القراءة المتواترة خلاف ذلك في كلمة "العالمين" كما في آيات أخرى من الذكر الحكيم، ومن فوائدها كما ذُكر آنفاً إظهار فتحة النون، وكذا الإيقاع الصوتي لهاء السّكت يتناسب مع ما في الآية من معاني الربوبية فحرف الهاء أضعف حروف اللغة العربية فيكون إلحاقها بلفظ العالمين يتناسب مع ضعف العباد وخضوعهم للرّبّ المعبود لا سواه.

وقد قيل في تفسير الآية: "فلما كان ربّا للعالمين وكان المربوبون ضعفاء كان احتياجهم للرّحمة واضحاً وكان ترقّبهم إيّاها من الموصوف بها بالذّات ناجحا"[3]، وفيه بيانٌ لعلّة ذكر صفتي الرّحمان الرّحيم بعد ربّ العالمين، والشاهد الذي يعنينا قول المربوبون ضعفاء.

---

[1]- ينظر: محمد الصادق قمحاوي، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، دار العقيدة القاهرة، ط1، 2006م-1427هـ، ص16.

[2]- يُنظر: سيبويه، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ - 1988م، / أبو إسحاق الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1408 هـ-1988 م، ج1، ص46.

[3]-محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مرجع سابق، ج1، ص173.

وعليه ففائدة تعدّد القراءات القرآنيّة في كلمة العالمين تظهرُ في مناسبة قراءة الجمهور للفواصل القرآنيّة، وكذا قراءة "الإمام يعقوب" "رحمه الله " بالهاء وقفاً لإظهار الحركة، كما تزيد وضوحاً لما في الآية من معاني العبودية لله تعالى، وأكثر من ذلك اجتماع القراءتين في كلمة واحدة وموافقتهما للغات العرب وفي كل هذا تيسير واختصار بليغ للمعاني في كلام الله تعالى.

2.2.3 ملامح الإعجاز البلاغي للاختلاف في قراءة ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ...﴾

1–القراءة بالإدغام: قرأ "الإمام يعقوب" وكذا "أبو عمرو" ﴿**الرَّحِيمِ مَالِكِ**﴾ وصلاً بالإدغام أي إدغام الميم من الرحيم في الميم من كلمة ملك، والحجة في ذلك: "أنّ إظهار الكلمتين كإعادة الحديث مرتين فأسكن الحرف الأول وأدغمه في الثاني ليعمل اللسان مرة واحدة، وشبّه الخليل ذلك بالمقيد إذا رفع رجله في موضع ثم أعادها إليه ثانية قال والذي أوجب الإدغام هو أنّه يثقل على اللّسان رفعه من مكان وإعادته في ذلك المكان أو فيما يقرب منه".[1]

"ويُقوّي حسن الإدغام في هذا النّوع– المتحرّكين– أنّ الأوّل إذا سَكَن لم يكن بُدّ من الإدغام".[2]

والغرض من الإدغام إنّما هو تقريب الصّوت من الصّوت، فإذا التقى المِثلان اللّذان يكون عنهما الإدغام وكان الأول منهما متحرّكاً تُسكنه وتُدغمه في الثّاني، إذْ تزيل عنه الحركة التي تكون حاجزاً بينه وبين مثله لتخلطه بالثّاني وتجذبه إلى مضامّته ومماسّة لفظه بلفظه، فينبو عنهما لسانك نبوةً واحدة وتتجاوز الوقفة التي كانت تكون في الأوّل لو لم تدغمه.[3]

إذاً فقراءة الإدغام فيها تخفيفٌ للثّقل الذي يقع على اللّسان من تكرار نفس الحرف على التّوالي، وفي ذلك سعة للعباد في القراءة بما يتيسّر لكلٍّ منهم.

كذلك من حيث المعنى "ملك يوم الدّين" صفة أيضا لله "الرّحمان الرّحيم"، ففي وصلها بالإدغام إظهارٌ لصفات الله تعالى مجتمعةً بما تحمله من معاني الرّحمة في مقابل معاني الملك والقهر.

وفيها لطيفة أخرى أنّ رحمة الله أكثرها مخبأ إلى يوم القيامة الذي هو يوم الدّين، كما في الحديث عن أبي هريرة "رضي الله عنه"، عن "النبي" "صلى الله عليه وسلم" قال: «إنّ لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة»[4].

فرحمة الله خُصّت بالمؤمنين يوم القيامة، وعليه ناسب ذلك وصل الرحمان الرّحيم بملك يوم الدّين مع الإدغام خصوصاً.

2– القراءة بالإظهار: "وأمّا من أظهر فإنّه أتى بالكلام على أصله، وأدّى لكل حرف حقه من إعرابه لتكثر حسناته، إذ كان له بكل حرف عشر حسنات".[5]

---

[1]– عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ابن زنجلة، مرجع سابق، ص84

[2]– مكي بن أبي طالب القيسي الحموي، الكشف عن وجوه القراءات السبع حججها وعللها، تحقيق: محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية –دمشق، 1394هـ-1984م، ص 29.

[3]– يُنظر: ابن جنّي، الخصائص، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط4، دت، ج2، ص142.

[4]– مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم 2752، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج4، ص 2108.

[5]–عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ابن زنجلة، مرجع سابق، ص 84.

أي أن في قراءة الإظهار قراءةٌ لحرفين يُثاب القارئ على كلٍّ منهما فتزيده حسنة بل تضاعف إلى عشر حسنات، وأيضاً في قراءة الإظهار فإنّ صفتي "الرّحيم ملك يوم الدين" تُقرأ كلٌّ منهما على حده من غير إدغامهما معاً، فيكون في ذلك إظهاراً لكل صفة واستشعاراً بكثرة وتعدّد صفات الله تعالى، بينما الوصل بالإدغام أدعى إلى تقريب واستحضار هاته المعاني والصّفات مجتمعةً تذكيراً بالمعاد وبرحمته بعباده يوم الدّين، وفي كلاهما معنىً عظيم وللمتوسّم فيها آيات ومعاني أخرى...

3.2.3 ملامح الإعجاز البلاغي للاختلاف في قراءة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)﴾

الميم واللام والكاف أصل يدلّ على القوّة والصِّحّة والشّدّ، وأملَكَ عجينه بمعنى قوّى عجنه وشدّه.[1]

1-القراءة بالألف: قرأ "عاصم" و"يعقوب" و"الكسائي" و"خلف" "رحمهم الله" ﴿مَالِكِ﴾ بالألف، ومالك معناه: "المتصرّف في الأعيان المملوكة كيف يشاء"[2]، وحجّتهم في ذلك أنّ الوصف بالمِلْكِ أعم منه بالمُلْكِ لأنه ينطلق على كل شيء، فالله تعالى مالك كل شيء وهو مالك الحكم في يوم الدّين، فالمَلِكُ مع النّاس بينما المالك مع الناس وغيرهم، فيكون مالكاً للناس ولغيرهم.[3]

ومالك "مداً على وزن سامع، اسم فاعل من ملَكَ مِلكاً بالكسر"[4]، ومن قرأها على وزن فاعل بتقدير حذف المفعول به إذ التّقدير: مالكِ يوم الدّين الأحكامَ، فهو موافق لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 19]، ومن حسن هذا الاختصاص تفرّده سبحانه بالحكم في يوم الدّين، أمّا في الدّنيا فإنه يحكم فيها القضاة والولاة وغيرهم[5]، وبتقدير حذف المفعول به يكون جرّه على البدل لا على الصّفة، فهو لا يتعرّف بالإضافة لأن اسم الفاعل أُريد به الحال أو الاستقبال[6]، بخلاف إذا أُريد باسم الفاعل معنى المضيّ، فإنّه يتعرّف بالإضافة إذ يكون جرّه على الصّفة، والصّفة تجري على موصوفها إذا لم تُقطع عنه بمدح أو ذمّ.[7]

2-القراءة بالحذف: قرأها الباقون بغير ألف، و"الملك بالحذف هو المتصرّف بالأمر والنّهي في المأمورين من الملك بضم الميم"[8]، ولهذا يقال: مَلِكُ الناسِ، ولا يقال: مَلِكُ الأشياءِ، وقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]، فتقديره: الملك في يوم الدّين، وذلك

---

[1]- أحمد بن فارس، مرجع سابق، ج5، ص 352.

[2]- محمد سالم محيسن، المغني في توجيه القراءات العشر، مكتبة الجيل، بيروت – لبنان، ط2، 1408هـ-1988م، ج1، ص125.

[3]- ينظر: نصر بن علي بن محمد الشيرازي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة السعودية، ط1، 1414هـ-1993م، ج1، ص 229.

[4]- أحمد بن محمد الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، ط3، 2006م - 1427هـ، ص 163.

[5]- يُنظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، المحقق: بدر الدين قهوجي-بشير جويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق- سوريا ، ط2، 1413 هـ-1993م، ج1، ص34.

[6]- يُنظر: أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، دط، ج1، ص6.

[7]- يُنظر: أبو القاسم الزّمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، 1407هـ، ج1، ص12.

[8]- قاسم أحمد الدجوى وآخرون، قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر، دار السعادة، 1428هـ-2008م، ص13.

لقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16][1]، ومَلِك يجمع معنى مالك لأنّ مالك يوم الدّين معناه مالك ذلك اليوم بعينه، وملك يوم الدّين معناه مالك ذلك اليوم بما فيه فهو أعم.[2]

وتأويل مَلِك بالحذف معناه أنه لله الملك خالصاً له دون خلقه يوم القيامة ولا ينازعه فيه أحد من ملوك الدّنيا، فكلّهم يأتون إليه أذلّة صاغرين[3].

كما أنّ قراءة ملِك بغير ألف هي على الإضافة المحضة قولاً واحداً، ويكون جرّه على الصّفة أو البدل بلا تقديرٍ لمحذوف.[4]

وبالنّظر في دلالة كلا القراءتين يتبيّن أنّ القراءة باسم الفاعل قد تدلّ على معنى الحال أو الاستقبال فهو تعالى مالك الأحكام في يوم الدّين الذي يبعث فيه الخلق ويجزي فيه كل نفس بما كسبت فليستعدّ المسلم لهذا اليوم، وقد تدلّ على الماضي فكأنّ فيه إشارة إلى أنّ وعد الله سيتحقق بالبعث، وتدلّ أيضاً على أنّ الله وحده له الحكم والملك المتصرّف بالأمر والنّهي كما بيّنت ذلك القراءة بالحذف "ملِك"، وخلاصة الأمر أنّ وعد اللّه متحقّق بالبعث والجزاء أو العقاب الذي يتفرّد به سبحانه وتعالى في ذلك اليوم.

وقد تعددت واختلفت المعاني باختلاف القراءتين بل كانت متنوّعة ومتكاملة، وعليه تكون قراءة مالك أعمّ من قراءة ملك من جهة إطلاقه فهو سبحانه مالِك الناس ومالِك كل شيء، في حين قراءة ملك أعمّ من قراءة مالك من جهة أخرى فهو ملك يوم الدين بما فيه، لتختصر القراءتين معانٍ عدّة في موضع واحد بالتنزيل الحكيم بصورة موجزة بليغة لا تكاد تجد لها نظيراً في غيره.

4.2.3 ملامح الإعجاز البلاغي للاختلاف في قراءة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾

"والصراط قيل: هنا الطريق وقيل: الطريق الموصلة للآمر الملائم وهو طريق الخير كأنه مأخوذ من السّرط وهو (الإبلاغ)"[5]، أي أنّ الصّراط لغة أصله من السّرط الذي بواسطته يصل شيئاً ما، إذاً فهو كالطّريق الموصلة للآمر.

1-السِّراط: قرأها بالسّين "حمزة" و"رويس"، والقراءة بالسّين هي الأصل وما جاء على الأصل فلا يحتاج إلى احتجاج، والدّليل على أنّ أصله السّين لأنه أُستُعمل بالسّين في الكلام والقرآن ولم يكونوا ليتركوا الصّاد التي هي مجانسة للطّاء ويستعملوا السّين التي هي حرف مهموس.[6]

يقصد بذلك أنّ حرف الصّاد مجانس لحرف الطّاء في بعض الصّفات كالاستعلاء والإطباق بخلاف حرف السين، وهذا أدعى لعدم العدول عن الصّاد إلى السّين في الاستعمال، فلمّا لم يك الاستعمال كذلك دلّ على أنّ السّين هي الأصل.

2-الصّراط بإشمام الصّاد زاياً: قرأ بها "خلف" عن "حمزة" "رحمهما الله"، والقراءة بالصّاد مع إشمامها زاياً "هي لغة قيس، وحجة من قرأ بالإشمام أنّه لما رأى الصّاد فيها مخالفة للطّاء في صفة (الجهر) أشمّ الصّاد صوت الزّاي، وذلك للجهر الذي فيها، فصار قبل

1- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص774.

2- ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي الحموي، مرجع سابق، ص 29.

3- يُنظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر ، ط1، 1422 هـ-2001 م، ج1، ص150

4- يُنظر: أبو البقاء العكبري، مرجع سابق، ج1، ص6.

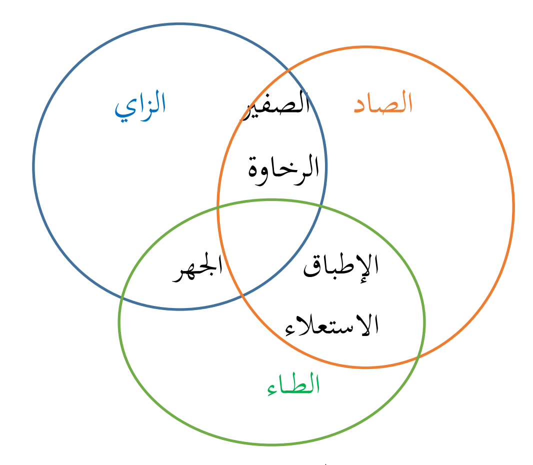
5- محمد بن محمد ابن عرفة التونسي المالكي، تفسير الإمام ابن عرفة، تحقيق: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، ط1، 1986 م، ج1، ص 102.

6- ينظر:أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، شرح الهداية، تحقيق حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد – الرياض، دط، دون سنة، ص 16-18.

الطّاء حرف يشبهها في (الإطباق، والجهر) وحسن ذلك لأن الرّاء تخرج من مخرج السّين، والصّاد مؤاخية لها –الزّاي– في صفتي: (الصّفير والرّخاوة)"[1]، فالذي جعلها بين الصّاد والزّاي كما في قراءة خلف أراد التّقريب والمجانسة.[2]

وفيما يلي شكل تقريبي لتجانس الحروف الثّلاثة (ز–ط–ص):

الشكل (02): تجانس صفات الحروف "ز"، "ط"، "ص"



أي أنّه لما كان اجتماع صفتي الاستعلاء والإطباق لحرفي الصّاد والطّاء، وكذا صفة الجهر لحرفي الطّاء والزّاي، وأيضا صفتي الصفير والرخاوة لحرفي الصاد والزاي، ناسب كلُّ ذلك القراءة بإشمام الصّاد زاياً نظراً للانسجام الصّوتي بين الحروف.

3–الصّراط: قراءة الجمهور حيث أنّ أهل الحجاز نطقوه بالصّاد مبدلة عن السّين لقصد التخفيف في الانتقال من السّين إلى الرّاء ثم إلى الطّاء[3].

"إنهم يفعلون ذلك في كلّ سين بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء، وإنّما قلبوها هنا صاداً لتُطابق الطّاء في الإطباق والاستعلاء والتفخيم مع الرّاء استثقالاً للانتقال من سفل إلى علو"،[4] وهو ما يجعل حروف الكلمة أكثر تجانساً.

وفي اجتماع القراءات الثّلاث في آيةٍ بل لفظةٍ واحدة تيسير على المسلمين بإيراد اللّفظة بأكثر من لغة مبرزة سعة وجمال لغة القرآن الكريم وتجانس حروفها، ودقّة إيقاعها، وبهذا تتجلّى بلاغة القرآن وفصاحة كلماته.

5.2.3 ملامح الإعجاز البلاغي للاختلاف في قراءة ﴿..عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضَّالِّينْ(7)﴾

وفي كلمة عليهم اختلفت القراءات المتواترة في قراءة الهاء والميم كما يلي:

أ–هاء عليهم: 1–القراءة بالضم: قرأها "حمزة"، وكذا "يعقوب" (عليهم وإليهم ولديهم الكلمات الثلاثة فقط)، حيث أتت بضم الهاء على الأصل لأن الهاء لما كانت ضعيفة لخفائها خصّت بأقوى الحركات، والدليل على أن أصلها الضّم أنها تُضمُّ مبتدأه، وبعد الفتح والألف والضّمّة والسّكون في غير الياء نحو: هُو، ولهُ، ودعاهُ، ودعوتهُ، ودعوهُ، ودعهُ، وهي لغة قريش والحجازيين.[1]

---

[1]– محمد سالم محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل – بيروت لبنان، ط1، 1417 هـ – 1997م، ج2، ص9.

[2]– ينظر: أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، شرح الهداية، مرجع سابق، ص 17.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص 190.

[4]– ينظر: إبراهيم بن عمر الجعبري الخليلي، كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، تحقيق: أحمد اليزيدي، وزارة الأوقاف الإسلامية المملكة المغربية، دط، 1419هـ–1998م، ج2،ص209.

2-القراءة بالكسر: قراءة البقيّة، "قرؤوها بكسر الهاء تخلصا من الثّقل لأن الهاء حاجز غير حصين فإذا ضُمّت بعد الياء فكأن ضمّتها قد وليت الكسرة أو الياء الساكنة وذلك ثقيل، وهذه لغة قيس وتميم وسعد بن بكر"[2]

ويدل على ضعف الهاء أنّهم يبينونها بزيادة الواو عليها في نحو: "ضربهو وأكرمهو" لتخرجها هذه الواو من الخفاء إلى الإبانة، ويدلك على خفائها أيضا أنهم قالوا يريد أن يضربها فأمالوا كأنهم قالوا: يضربا فلم يعتدّوا بالهاء لخفائها.[3]

وهكذا تتردّد الهاء بين الضّمّ والكسر لخفائها وضعفها، فقراءةٌ بالضّمّ لتقويتها بأقوى الحركات وأخرى بالكسر باعتبارها ضعيفة فلا يُعتدّ بها.

ب-ميم عليهم:

1-القراءة بالصّلة واواً: "قالون" بخلف عنه و"ابن كثير" وكذا "أبو جعفر" بواو في اللفظ وصلاً إتباعاً للأصل، بدليل ﴿دَخَلْتُمُوهُ﴾ [المائدة: 23]، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: 28]".[4]

"فأمّا ميم الجمع فأصلها أن تُزاد عليها الواو ليكون للمذكر علامتان كما كان للمؤنث في قولك (عليهن)، فالنّون السّاكنة في عليهنْ بإزاء الميم من عليهم والنّون المتحركة في عليهنَّ بإزاء الواو في قولك (عليهمو)".[5]

يقصد بذلك أن كلمة عليهنّ فيها نونين -عليهنْنَ- الأولى ساكنة، وهي تقابل الميم في كلمة عليهمو، والثّانية متحرّكة تقابل الواو في كلمة عليهمو فذاك الأصل، ودليله ما جاء في القرآن الكريم وذُكر آنفاً.

2-القراءة بالسّكون: وعلّة من أسكن الميم أنّه أراد التّخفيف إذ لا يقع في حذف الواو لبس، وذلك أنّك تقول في الواحد المذكّر عليه وفي المؤنّث عليها وفي الاثنين عليهما وفي جمع المؤنّث عليهن فلم يبق عليهم إلا لجماعة المذكّر فلما كانت إحدى العلامتين تنوب عن الأخرى بغير لبس يقع في الكلمة اختار ما هو أخف، فإن قال قائل هلّا أبقى من حذف الواو من عليهمُو الضمة، ولم حذفت الواو والضمة جميعاً، قيل له لما قصد التخفيف لم يبق الضمة لأن الضمة تستثقل كما الواو.[6]

ممّا سبق يظهر أنّ تعدّد القراءات للميم بالصّلة أو السّكون يكون إمّا اتّباعاً للأصل أو للتّخفيف.

إذاً علل القراءات المتواترة الواردة في كلمة عليهم مجتمعةً هي:

1-علَيهُمْ: قرأ "حمزة" و"يعقوب" "رحمهما الله" بضم الهاء وسكون الميم لتقوية الهاء، وقصد التخفيف للميم.

---

[1]- ينظر: محمد سالم محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج2، ص 13/ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بر القسطلاني 923ه، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة النورة – السعودية، دط، 1434ه، ص 1369م/ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي 756ه، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج1، ص 70.

[2]- محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص 200.

[3]- أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، شرح الهداية، مرجع سابق، ص 19.

[4]- أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بر القسطلاني، مرجع سابق، ص 1371.

[5]- ينظر: أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، مرجع سابق، ص 23.

[6] – المرجع نفســه، ص 25.

2-علَيهِمُو: قرأها "قالون" بخلف عنه و"ابن كثير" وكذا "أبو جعفر" "رحمهم الله"، وعلّة من قرأ بكسر الهاء وضمّ الميم مع الصّلة للتّخلّص من الثّقل في الهاء، وإتّباعاً للأصل في حركة الميم.

3-علَيهِمْ: الباقون وكذا "قالون" بخلف عنه، ومن قرأ بكسر الميم وسكون الهاء قصد التخفيف في كليهما.

وقراءة كلمة عليهم بالقراءات المتواترة بلغات مختلفة فصيحة متجانسة الحروف حسب التعليلات الواردة آنفاً لِتبيّن الأصل في قراءةٍ ولِلتّخفيف في قراءةٍ أخرى ممّا يزيد من بلاغة وسعة القرآن الكريم والتيسير على المسلمين.

4.خاتمة:

بعد دراسة موضوع **"ملامح الإعجاز البلاغي في ضوء تعدد القراءات القرآنية المتواترة في سورة الفاتحة"** تمّ التوصل إلى جملة من النتائج، نسجل أهمها:

- إنّ الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم عبارة عن: عجز البشر في كل زمان ومكان عن الإتيان بمثل القرآن معنىً ولفظاً ونظماً، وان توفرت الملكة والقدرة على التحدي، وإنّ دل على شيء إنما يدل على أنه كلام الله تعالى وأنه الخالق الواحد للعالمين.
- تتجلّى أهم ملامح الإعجاز البلاغي في القراءات القرآنية المتواترة بالقرآن عموماً، وسورة الفاتحة خصوصاً فيما يلي:

1-فصاحة اللفظ وبلاغة العبارة وتناسق حروفه وكلماته وموافقته للهجات العرب، كون القرآن نزل بلغتهم كما ورد في لفظ "الصّراط".

2-التيسير على المسلمين من خلال اللغات المختلفة التي نزل بها القرآن، والتي وردت في سورة الفاتحة نذكر منها كلمتي:"عليهم"، "الصّراط".

3-سعة المعاني التي تدل عليها الآيات إثر تعدد القراءات القرآنية بسورة الفاتحة، كتلك المعاني التي وردت في كلمة "ملِك"، وكذا في جميع المواضع المختلفة فيها القراءات المتواترة، فكل تغيير في مبنى الكلمات يؤدي إلى تغير في المعنى، إذ كلّ قراءة بمنزلة الآية.

4-تناسب ودلالة القراءة في الآية على المعنى الوارد فيها، كما جاء في السكت على لفظ "العالمين" بالهاء، و"الرحيم ملك" بقراءة الإدغام.

5- التّغاير في الفرش والأصول بالقراءات القرآنيّة كإبدال الحروف والزيادة والحذف واختلاف الأداء يتبعه اتّساع معاني ألفاظ القرآن الكريم وإثرائها.

6-ترابط وتكامل المعاني التي تدلّ عليها القراءات القرآنية المتواترة فيما بينها.

7-قوّة لفظه وبلاغة إيقاعه وصدقة في معناه، مما يجعل المنصت له ينقاد للحق مرغماً، وتشدّه الآيات ليهتدي بها إلى طريق الحقّ.

هذا ولا تزال أسرار القرآن وعجائبه التي لا تنقضي حرية بالبحث والتعمّق في دلالتها ليستفيد منها المسلم وغير المسلم من حين لآخر وترشده إلى طريق الحقّ، وإن كان ما ورد في البحث قطرة من بحر هذا الكتاب المبين، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109].

التوصيات:

بما أنّ هذا البحث اقتصر على دراسة سورة الفاتحة نظرا لطبيعة المقال من جهة، والمقام لا يسمح ببحث جميع السّور القرآنية من جهة ثانية، فإننا نهيب بالباحثين الأكاديميين إلى تسخير جهودهم لدراسة بقية السور وإبراز ما فيها من قراءات متواترة، وما انطوت عليه من ملامح الإعجاز البلاغي.

5.قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

ثانياً: الكتب

1) إبراهيم بن عمر الجعبري الخليلي، كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، تحقيق أحمد اليزيدي، وزارة الأوقاف الإسلامية المملكة المغربية، دون طبعة، 1419هـ-1998م.

2) ابن جنّي، الخصائص، الهيئة العامة المصرية للكتاب – مصر، الطبعة الرابعة، دت.

3) أبو إسحاق الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب– بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ-1988 م.

4) أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دط، دت.

5) أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، شرح الهداية، تحقيق حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد – الرياض، دط، دون سنة.

6) أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بر القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة النورة – السعودية، 1434هـ.

7) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ.

8) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

9) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998 م.

10) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزّمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1407هـ.

11) أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الامدادية، الطبعة الأولى- 1415 هـ.

12) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، دون طبعة، دون سنة.

13) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دون طبعة، 1399هـ - 1979م.

14) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الثالثة، 2006م - 1427هـ.

15) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دون طبعة، دون سنة.

16) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، 1376هـ - 1957م.

17) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: مصطفى شيخ مصطفى، خرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون- بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1429هـ- 2008م.

18) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة، دون سنة.

19) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ -1999م.

20) صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار الأردن، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م.

21) عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الرسالة، الطبعة الخامسة 1418هـ-1997م.

22) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دون طبعة، 1423 هـ.

23) قاسم أحمد الدجوى ومحمد الصادق قمحاوي، قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر، دار السعادة، 1428هـ-2008م.

24) محمد أحمد محمد معبد، نفحات من علوم القرآن، دار السلام – القاهرة، الطبعة الثانية، 1426 هـ - 2005 م.

25) محمد الصادق قمحاوي، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، دار العقيدة ت القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م-1427هـ.

26) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ، دون طبعة، دون سنة.

27) محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

28) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، تفسير الإمام ابن عرفة، تحقيق حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، الطبعة الأولى- 1986 م.

29) محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر - بيروت الطبعة الثالثة - 1414 هـ.

30) محمد سالم محيسن، المغني في توجيه القراءات العشر، مكتبة الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 1408هـ-1988م.

31) محمد سالم محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997م.

32) محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد فواز زمرلي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.

33) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، دون طبعة، دون سنة.

34) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي -بيروت، الطبعة الثامنة - 1425 هـ - 2005 م.

35) مكي بن أبي طالب القيسي الحموي، الكشف عن وجوه القراءات السبع حججها وعللها، تحقيق محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية – دمشق، 1394هـ-1984م.

36) نصر بن علي بن محمد أبي عبدالله ابن أبي مريم الشيرازي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة السعودية، الطبعة الأولى 1414هـ-1993م.